11me Année No. 545

Lundi - 13 - 12 - 1943

بدل الاشتراك عن سنة

مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٢٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٤٥ «القاهرة فى يوم الإثنين ١٥ ذو الحجة سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٣ ديسمبر سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

صفحة
٩٨١ بين التزمت والأباحية فى قواعد اللغة ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٩٨٤ ديوان علم الدين المحيوى : الدكتور زكى مبارك ... ...
٩٨٧ صور من توفيق الحكيم كتابه « زهرة العمر » ... : الأستاذ دريني خشبة . . ...
٩٩١ جامع أحمد ابن طولون ... : الأستاذ أحمد رمزى بك ...
٩٩٣ شاعر ومنجم ... . : الأستاذ محمود عزت عرفة ...
٩٩٥ من حضارة الاسلام دور التحف العربية ... : الأستاذ محمد عبد الغنى حسن
٩٩٨ من الشعر الحر : الحديقة الميتة والقصر البالى [قصيدة] : الأستاذ خليل شيبوب ...
٩٩٩ صديق هام ... [قصة] : للكاتب الروسى أنطون تشيكوف بقلم الأديب صلاح الدين التهامى

بين التزمت والاباحة

فى قواعد اللغة

للأستاذ عباس محمود العقاد

قرأت بالرسالة مقال الأستاذ الفاضل الشيخ محمود أبى رية عن « عبقرية الإمام » .

وإنى شاكر له ثناءه على الكتاب وحسن تلخيصه لفصوله وأغراضه ، ومعقب على ملاحظته الأخيرة فى اللغة حيث يقول :

« بقيت أشياء لا بد من ذكرها والإبانة عنها حتى نبلغ من كلامنا ما نريد . ذلك أنى عثرت وأنا أقرأ ببعض ألفاظ كنت أقف عندها مثل لفظ (يقلاه ص ٤٠) و (حانقين ص ٥٥) و (فشل ص ٨١ و ٩٦ و ١١٠ و ١٢٦) ؛ وقد رجعت إلى معاجم اللغة التى بين يدى فى اللفظ الأول فوجدته من لغة طيء ، وإذن يكون استعماله جائزاً . أما اللفظان الآخران فإنى أرجع فيهما إلى الأستاذ العقاد وأسأله : هل يجوز استعمال كلمة فشل فى معنى أخفق وخاب ، وأن يأتى اسم الفاعل من حنق على حانق ؟ »

وجوابى : نعم يجوز أن نأتى باسم الفاعل من حنق على حانق ، لأنه لا يكون اسم فاعل إلا إذا كان على هذا الوزن

وجوازه ثابت بالنص وثابت بالقياس الذى لا يرد ، وهو فى بعض الأقوال أقوى من النصوص.

فالزمخشري في كتابه « المفصـل » يقول في باب الصفة المشبهة : « وهي تدل على معنى ثابت . فإن قُصـد الحدوث قيل هو حاسن الآن أو غدا وكارم وطائل ، ومنه قوله تعالى وضائق به صدرك ... الخ »

وجاراه موفق الدين بن يعيش شارح المفصل كما جاراه في هذا الحكم جلة النحاة

فإذا صح في (كرُم) التي تدل على الثبوت أن يقال كارم للدلالة على الحدوث ، فذلك أصح وأولى في حنق التي ليس فيها معنى من معاني الثبوت

بل إذا كانت كلمة غداً أو الآن لا تكفي للدلالة على الحدوث ولا تغني عن الأتيان باسم الفاعل على صيغته الشائعة ، فمن الحق ألا نستغني عن هـذه الصيغة حين لا تقترن بلفظ يعين الحدوث في الحال أو الاستقبال

* * *

على أننا نفرض أن النصوص في كتب النحو لا تقرر هذه القاعدة ولا تثبتها على الوجه الصريح الذي قدمناه

بل نفرض أن النصوص قد وردت بمنع «حانق» وما شابهها وجزمت بخطئها على طريقة النحاة أحيانا في تخطئة بعض الصيغ والأوزان ، فمن الواجب في هذه الحالة على خادم اللغة العربية أن يخالف النحاة ويخالف السماع الناقص تكملة له بالقياس الصحيح الذي لا محيد عنه

إذ ليس من حق لغة من اللغات أن تضطر كاتباً بهـا إلى الأخطاء في معناه

وليس من حق لغة من اللغات أن تبطل الفارق بين معنيين مختلفين ثم تمنعنا أن ننشىء هـذا الفارق لضرورة الصـدق في التعبير

فهناك فارق بين من يحنق من حادث يعرض له وبين من يلازمه الحنق في طباعه وأخلاقه

فإذا قلت عن رجل إنه «حَنِـق» وعنيت به أنه دائم الحنق كما تدوم الصفات المشبهة ؛ فمن الواجب أن أقول : « هو حانق من كذا » ، إذا كان الحنق يفارقه بعـد ذلك ، ولا يلازمه في طباعه وأخلاقه

وإذا قلت إنه «حَنِـق» وعنيت به ما نعنى باسم الفاعل وجب أن نقول شيئاً آخر إذا عنيت أنه متصف بطبع الحنق في عامة أوقاته

وليس في وسع لغة ولا في وسع اللغات جميعاً أن تفرض على كتابها الخطأ واللبس في التعبير ، ثم تصدهم عن تصحيح الخطأ وجلاء اللبس بتصرف لا يخرج بهم عن قياسها ولا يخل بأصولها المرعية في أعم ألفاظها

فالنص يجيز الصيغة والقياس يوجبها عند منع النص وهو بحمد الله غير مانع

وإننا لحلقاء أن نغبط أنفسنا على أن اللغة العربية «منطقية» في إجراء القواعد على الأوزان حيث تتشابه المعـاني وتتخالف أوزان ألفاظها

فقد يُحمل الشيء على غيره في المعنى فيجمع بجمعه . وانظر مثلاً ما ذا بلغ من هـذه النزعة « المنطقية » في أوزان الجموع وهي التي لا تجرى على وزن واحد كصيغة اسم الفاعل ؛ فليس في اللغة « هليك » بمعنى هالك ولا جريب بمعنى أجرب أو جربان أو جرب ، ولكنهم يقولون هلكى وجربى قياساً على قتلى وجرحى ولدغى ، لأنها جميعاً تدل على داء أو بلاء ، وهـذا هو منطق النحو العربي الذي ينطلق أحياناً مع المعاني ولا يتحجر أبداً مع الحروف

* * *

أما « فشل » بمعنى أخفق فلها حكم آخر . فهذه الكلمة من الاستعمال الحديث الذي شاع حتى غطى على معنى الكلمة القديم ، مع تقارب المعنيين حتى ليجوز أن يحمل أحدهما قصـد الآخر ، لأن التراخي والضعف والخواء قريبة كلها من الخبوط والإخفاق

وتجدد المعاني على حسب العصور سنة لا تحيد عنها لغة من اللغات ، وفي مقدمتها اللغة العربية

فلو أننا أخذنا ألف كلمة من المعجم وتعقبنا معانيها في العصور المختلفة لما وجدنا خمسين أو ستين منها ثابتة على معنى واحد في جميع العصور

وربما غلب المعنى الجديد وبطل المعنى القديم وهو أصيل في عدة كلمات

خذ مثلاً كلمتي الجديد والقديم ، وكيف ظهرا ، ثم كيف

تحولا إلى الغرض الذى نعنيه الآن .

فالثوب « الجديد » هو الثوب الذى قُطع حديثاً من جَده فهو جديد أو مجدود ، وكانوا يقطعون المنسوجات عند شرائها ، كما نقطعها اليوم ، فيسمونها جديدة من أجل ذلك

ثم نسيت كلمة الجديد بمعنى المقطوع فلا ينصرف إليها الذهن الآن إلا بتفسير أو تعيين ، وأصبحنا نعبر بالجدة عن أمور لا تقطع ولا هى من المحسوسات ، فنقول : « المعنى الجديد » والفكر الجديد ، وما شابه هذه الأوصاف

وكانوا يقولون تقدم فلان أى مشى بقدمه ، ثم ضمنوا تقدمه معنى سبقه ، فأصبح السابق هو القديم ، وأصبح الزمن القديم هو الزمن السابق ، كما نفهمه الآن

وقد نسى الناس « كتب البعير » بمعنى قيده ، وأطلقوها اليوم على الخط فى الورق ، وهو فى الأصل مستعار من التقييد

ونسى الناس « خجل البعير » بمعنى تحير واضطرب ، وأصبحوا يستعملونها « للحياء » الذى شبه بالخجل ، لأنه يدعو إلى الحيرة والاضطراب

وكل أولئك لا ضير منه على اللغة كما رأينا ، بل هو مادة إنشاء وابتكار وتنويع

والأستاذ الفاضل « أبو رية » يأخذ بالشيوع قاصداً أو غير قاصد حين يقول « المعاجم » ، وهى جمع معجم بضم الميم ، والمعجمات هى الجمع الذى يرتضيه المتزمتون ولا يرتضون غيره

* * *

إلا أننى هنا أنكر الإباحية العمياء ، كما أنكر التزمت الأعمى

وعندى أنه لا يصح إلا ما أمكن أن ينطوى فى قاعدة من القواعد المعروفة ، أو أن يؤدى المعنى أداء لا يناقض العقل والقياس

ومن أمثلة ذلك أننى كنت أشهد منذ أيام رواية « قيس ولبنى » للشاعر المجيد عزيز أباظة بك ، فأعجبت بسلامة اللغة وصحة العبارة ، ولكنى لاحظت أنه استعمل كلمة « تضحية » بمعنى فداء أو خسارة ، كما نستعملها نحن الآن

والتضحية عند العرب هى ذبح الشاة أو غيرها فى وقت الضحى ثم أخذت معنى الفداء أو القربان ، لأن الناس ينحرون ذبائحهم فى الضحى يوم عيد النحر الذى عرف من أجل ذلك بعيد الضحية

فإذا كنا نحن المتكلمين — ونعنى أبناء العصر الحاضر — فلا ضير من تضمين الكلمة هذا المعنى بعد أن أخذته باستعارة معقولة ، وكسبته بالاستعمال المتفق عليه بيننا

ولكننا إذا جعلنا العرب فى عصر «قيس ولبنى» يستعيرون هذا المعنى ، وهم لم يستعيروه ، فذلك خطأ فى التاريخ وليس بخطأ فى اللغة وكفى

والاعتراف « بالتطور » فى المعانى والاستعارات لا يقتضى أن نخالف الحقيقة التاريخية

على أنى حين استعملت كلمة فشل لم أكد أخرج بها عما اصطلح عليه الأولون

فقلت : « يحاول الغلبة من حيث فشل » ، ولو جعلت فشل هنا بمعنى ضعف لكانت مقابلة للغلبة أحسن مقابلة

وقلت : « ولا طائل فى البحث عن علة هذا الخذلان الصريح ، أكان هو الطمع فى الملك بعد فشل على ، أم النقمة على الأشتر » . فلو أنك قلت بعد « ضعف » على لاستقام هنا التعبيران القديم والحديث

وكذلك قولنا : « مُنى بالفشل لأنه عمل بغير ما أشار به أصحابه الدهاة » ؛ فإن التعبيرين فيه يتلاقيان

كذلك قولنا : « ولكنها خطة سلبية لا يمتحن بها رأى ولا عمل ، ولا ترتبط بها تجربة ولا فشل »

فليس المتزمت قديم أن ينكر موقع هذه الكلمة فى حيث وضعناها من هذه العبارات كلها ، وإن كنا مع هذا لا نحرم إطلاقها على معنى الإخفاق الذى لا يحتمل تأويلا بمعنى آخر ؛ وكل ما ننكره أن تأتى بكلمة « فشل » فتطلقها على معنى القوة والنجاح ، أو معنى يناقض الضعف والتراخى المقصودين بها قديماً ؛ أو أن تأتى بهذه الكلمة فتضعها على لسان على بن أبى طالب ، أو رجل فى زمان سابق لزماننا الذى أعارها ما نفهمه منها الآن على الشيوع والتواتر

وليس الخطأ فى تجديد المعانى على حسب العصور ، لأنه سنة لم تفلت منها كلمة فى لغة من اللغات إلا وهى على موعد من تجديد يأتى بعد حين

إنما الخطأ هو إنكار هذه الحقيقة ، وهى تصادفنا فى كل ما نقرأ ونكتب بالعربية وبغير العربية

ونحن على طريق السلامة ما أبحنا مبصرين وتزمتنا مبصرين ، وحينئذ لا نكون إباحيين ولا متزمتين ؛ بل نجرى على السواء الذى نسلكه مهتدين

عباس محمود العقاد